يسافروا في ملك غيرهم لكثرة أموالهم ومتاعهم وغيرهم محتاج إليهم لما عندهم من المتاع والدنيا المتسعة وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج لقهره وكثرة جنده وعدده والمقصود أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا مملكة عظيمة حصينة ذات أنهار وأسواق وحسن وبهاء فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة بقدر مدينة كبيرة فقال لهم ملك الصين ما أنتم وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هبيرة فقال الملك لترجمانه قل لهم ما أنتم وما تريدون فقالوا نحن رسل قتيبة بن مسلم وهو يدعوك إلى الإسلام فإن لم تفعل فالجزية فإن لم تفعل فالحرب فغضب الملك وأمر بهم إلى دار فلما كان الغد دعاهم فقال لهم كيف تكونون في عبادة إلهكم فصلوا الصلاة على عادتهم فلما ركعوا وسجدوا ضحك منهم فقال كيف تكونون في بيوتكم فلبسوا ثياب مهنهم فأمرهم بالإنصراف فلما كان من الغد أرسل إليهم فقال كيف تدخلون على ملوككم فلبسوا الوشى والعمائم والمطارف ودخلوا على الملك فقال لهم ارجعوا فرجعوا فقال الملك لأصحابه كيف رأيتم هؤلاء فقالوا هذه اشبه بهيئة الرجال من تلك المرة الأولى وهم أولئك فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فقال لهم كيف تلقون عدوكم فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا المغافر والبيض وتقلدوا السيوف ونكبوا القسى وأخذوا الرماح وركبوا خيولهم ومضوا فنظر إليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوه مشمرين فقيل لهم ارجعوا وذلك لما دخل قلوب أهل الصين من الخوف منهم فانصرفوا فركبو خيولهم واختلجوا رماحهم ثم ساقوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها فقال الملك لأصحابه كيف ترونهم فقالوا ما راينا كهؤلاء قط فلما أمسوا بعث إليهم الملك أن ابعثوا إلى زعيمكم وأفضلكم فبعثوا إليه هبيرة فقال له الملك حين دخل عليه قد رأيتم عظم ملكي وليس أحد يمنعكم مني وأنتم بمنزلة البيضة في كفي وأنا سائلك عن أمر فإن تصدقني وإلا قتلتك فقال سل فقال الملك لم صنعتم ما صنعتم من زي أول يوم والثاني والثالث فقال أما زينا أول يوم فهو لباسنا في أهلنا ونسائنا وطيبنا عندهم وأما ما فعلنا ثاني يوم فهو زينا إذا دخلنا على ملوكنا وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا فقال الملك ما أحسن ما دبرتم دهركم فانصرفوا إلى صاحبكم يعني قتيبة وقولوا له ينصرف راجعا عن بلادي فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت إليكم من يهلككم عن آخركم فقال له هبيرة تقول لقتيبة هذا فكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك في بلادك وأما تخويفك إيانا بالقتل فإنا نعلم أن لنا أجلا إذا حضر فاكرمها عندنا القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه